## لماذا تتسارع الخُطوات الانفتاحيَّة والتطبيعيَّة بين إيران والسعوديَّة هذه الأيَّام؟

وما هي العوامل الستّة التي تـُحتّم التّقارب بين البـَلدين؟ وهل نـَرى روحاني بعد الصّدر في الرّياض قريبـًا؟

عبد الباري عطوان

ت َ شهد العلاقات السعودية الإيرانية تحسّناً م ُضطّرداً بسبب إدراك الم َسؤولين في البلدين بأن التّصعيد والح َ ملات الإعلامية الم ُ تبادلة، وق َ طع كل أنواع الح ِ وار، ت ُ عطي نتائج عكسيّة ٍ م ُ كلفة. إعلان السيد محمد جواد ظريف، وزير الخارجية الإيراني، م ُ وافقة الدّولتين على تبادل زيارات الدبلوماسيين، لتفقّد السفارات الم ُ غلقة، وم َ نح تأشيرات د ُ خول للقيام بهذه الم ُ همّة، ي ُ مكن أن تكون بداية ً لتطبيع العلاقات، وتخفيف ح ِ د ّة التوتّر بالتّالي، تمهيداً الإعادة ف َ تح السفارات الم ُ غلقة منذ أزمة اقتحام السفارة السعودية عام 2016.

القيادة السعودية التي لجأت إلى التسمعيد ضد إيران، وأكسّدت في أكثر من مُناسبة أنها لن تُعيد العلاقات معها، لأنسّها مَحكومة من قبل نظام الولي الفقيه، وتُؤمن بع ودة الم َهدي الم ُنتظر، كانت الأكثر م ُبادرة في تخفيف حد ّة التوتر، عندما أبدت م ُرونة عير م سبوقة وي الم ُفاوضات الم ُتعلسّقة بع َودة الح ُجسّاج الإيرانيين لأداء م َناسكهم، وإنهاء الم ُقاطعة، وأسقطت العديد من ش ُروطها في هذا المسّدد، مثل ضرورة ح ُصولهم على تأشيرات الحج من سفاراتها في دول ٍ ثالثة، واستخدام شركات طيران غير الشركة الإيرانية، وم َنحت تأشيرات د ُخول لحوالي عشرة دبلوماسيين إيرانيين للإشراف والسسّهر على رعاية هؤلاء، وتذليل أي عقبات تقف في طريق أداء ف ُروضهم.

هذه المُرونة تتناقض كُليَّا مع التصريحات التي أدلى بها الأمير محمد بن سلمان، ولي العهد السعودي في ح ِواره مع الزميل داوود الشريان في 3 أيار (مايو) الماضي، الذي اتهم فيه إيران بمُحاولة احتلال المناطق المُقدَّسة في مكَّة المكرمة والمدينة المنورة، وهدَّد بالقيام بضربة ٍ استباقيَّة ٍ تنقل الحرب إلى العُمق الإيراني، مُلمَّدًا إلى احتمال "تثوير" الأقليَّات العربيَّة والأذريَّة والبلوشيَّة السؤال الذي يـَطرح نفسه بقو ّة يتعلـّق بأسباب هذا الانقلاب التدريجي في المـَوقف السعودي تـُجاه إيران، ومـَيل القيادة السعودية إلى الانفتاح بشكل ٍ مـُتسارع ٍ على "خـَصمها" الإيراني؟

للإجابة على هذا السؤال لا بُد من التوقّف عند عدّة تطوّرات رئيسيّة نُوجزها في النّقاط التالية: أولاً: فَشل المَشروع الأمريكي الذي كانت المملكة العربية السعودية لاعبًا رئيسيًّا فيه، أي إسقاط النظام في سورية، فبَعد سبع سنوات من الحرب تقريبًا، أدركت القيادة السعودية أن الرئيس السوري بشار الأسد بدعم ٍ من روسيا وإيران وحزب ا□، باق ٍ في السلطة، وأبلغت حُلفاءها في المُعارضة السورية بهذه ٍ القناعة الجديدة.

ثانيًا: مُرور عامين ونِصف العام على انطلاق "عاصفة الحزم" في اليمن، وعدم تمكّن هذه العاصفة من إنجاز الهَدف الذي انطلقت من أجله، وهو ه َزيمة التّحالف "الحوثي الصالحي"، وإعادة الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي إلى صنعاء.

ثالثًا: تراجع الإمكانيَّات الماليَّة السعوديَّة الضَّخمة التي كانت تُشكَّل أقوى الأسلحة السعودية بسبب تراجع أسعار النَّفط، وارتفاع تكاليف الحُروب بالنيابة التي تَخوضها في سورية واليمن التي استنزفت احتياطاتها.

رابعًا: صُدور قانون مُعاقبة الدّول الراعية للإرهاب الأمريكي "جستا"، والسّماح لأهالي الضحايا برَفع قضايا أمام المحاكم الأمريكية طلبًا للتّعويضات، وهُناك 25 دعوى قضائية مَرفوعة حاليًّا ضد المملكة العربية السعودية، ويُمكن أن تَصل التعويضات إلى أكثر من خمسة تريليون دولار.

خامسًا: إعطاء القيادة السعودية الأولويّة المُطلقة للحرب السياسية والاقتصادية التي تَخوضها حاليًّا ضَد دولة قطر، وبذلها جُهودًا لتحييد إيران في هذا الصّراع، وإبعادها عن الدّّوحة مهما كلّف الأمر.

سادسًا: "البراغماتية" الإيرانية، والنّفس الإيراني الطويل، وترجمة هذه البراغماتيّة إلى مُرونة ٍ سياسيّة ٍ تُجاه السعودية، وترحيب طهران بأي خُطوة ٍ سُعوديّة ٍ نحو الحرَوار وتَطبيع العلاقات.

الانفتاح السّعودي على القييادات الشيعيّة العراقية الذي كان خطّاً أحمرًا لأكثر من عيشرين عامًا، والاستقبال الحار للسيد مقتدى الصدر في الرياض، وقرّبله السيد حيدر العبادي، رئيس الوزراء، كان الطريق الأقصر والأسرع نحو التطبيع مع إيران، وإعلان السيد قاسم الأعرجي، وزير الداخلية العراقي، والمرُقرّب من الحشد الشعبي وإيران معاً، عن طلب السعودية وساطة حرُكومته لتحسين العلاقات مع إيران، لم يركن مرُفاجئًا، ولكن المرُفاجرَئ ترَمثّل في نرَفي مرسؤولين سعوديين هذا الطّلب الذي أظهر بلادهم في مرسَّظهر من يرسعي بكل طريقة إلى الوساطة في هذا الإطار للتهدئة، وفرَتح حروار مع الخرَصم الإقليمي

الأخطر والأهم، أي إيران.

هل نحن أمام بداية النهاية للحرب بالإنابة التي تخوضها الدولتان ضد بعضهما البعض في المنطقة، أم أنها م ُجرد هدنة م ُؤق ّتة ريثما ي َلتقط الطرفان، والسعودي على و َجه الخ ُصوص، الأنفاس؟ من الصعب علينا إعطاء إجابة ً حاسمة ً في هذا الصدد، فالأ ُمور في بداياتها، ولكن ما ي ُمكن ق َوله، أن م ُفردات مثل "الم َجوس" و"الراافضة" و"ء َبدة الناار" ست َختفي من قاموس الشتائم، والح َرب الإعلامية بين البلدين في الم َرحلة القادمة، ولا ن َستبعد أن ي َحل الرئيس الإيراني حسن روحاني ضيفًا على القيادة السعودية في الأشهر القليلة الم ُقبلة، وبعد اكتمال عملية التطبيع الدبلوماسي، وفتح السفارتين الإيرانية في الرياض، والسعودية في طهران.

هل نَحن نغرق في التّفاؤل، وبطريقة ٍ مُبالغ ٍ فيها في هذا المَلف؟ لا نَعتقد ذلك، فمِثل هذه المُقدّمات تُؤدّي إلى هذه ِ النتائج، والأيام بيننا.